والاستقلال . ويخلص المؤلف من ذلك الى التقرير بان « صوت عدم الانحياز هو صوت القومية في عالم منتصف القرن العشرين . واذا كانت الحرب الباردة تمثل الصراع بين الشطرين الشرقي والغربي من النصف الشمالي للكرة الارضية ، فان القومية ، مشفوعة بعدم الانحياز الحيادي الطبيعي ، تمثل الشعوب المتأخرة النمو والمحكومة سابقا في النصف الجنوبي من الكرة الارضية . ولقد يبدو النزال في يومنا هذا بين الشرق والغرب في اعين مؤرخي المستقبل بمثابة ملحمة عابرة تقاس بالنزالات الكبرى التقليدية بين الشمال والجنوب . اما توق انصار اي من الكتلتين الشماليتين لتطعيم حياة النصف الجنوبي المستيقظ بعداواتهم فانه قد يبدو عرضا ينكشف عن رغبة في فرض رعوية متعالية وقحة » .

واخيرا لا ينسى المؤلف دور الاحلاف ومساعي فرضها في اثارة مخاوف الدول المتحررة حديثا وفي دفعها الى تكتل غير ملتزم على صعيد الحياد وعدم الالتزام وعدم الانحياز ، وذلك ضمن بحث تاريخي عن تطور الاحلاف ومضاعفاتها وتجارب الدول المقاومة لها .

ولما كان للجمهورية العربية المتحدة دورها المهم في اشاعة فكرة الحياد وعدم الالتزام في العالم العربي ، فقد خص فايز صايغ الكتاب يبحث لاحق عن مذهب الحياد في الجمهورية العربية المتحدة ، باعتبار ان مصر (وربما سوريا في الوقت ذاته) كانت اول دولة عربية في الشرق الاوسط تصوغ وتتبع سياسة الحياد . وفي هذا فان فايز صايغ لا ينسى ان يعنى بالسياق القومي الذي نشأت فيه سياسة الحياد ، وبالعملية التطورية التي تولد الحياد عبرها ، وذلك كعاملين جوهريين يجب على المتتبع ان يوليها الدراسة والاهتمام .

وبالطبع فان فايز صايغ يشدد على الحافز الفلسطيني في تكوين وتطوير النزعة الحيادية ، بالاستقاء من المضامين والمفاهيم التي استنتجها العرب من علاقة الغرب والاستعمار باسرائيل . فيتابع تطور سياسة الحياد من مرحلة الحياد السلبي (١٩٥١ - ١٩٥٥) ، مرحلة الصراع ضد الاحلاف ومن اجل الجلاء وتأمين التمويل لسد اسوان كقاعدة للانماء ؛ الى مرحلة الحياد الايجابي (١٩٥٥ - ١٩٥٩) ، وهي المرحلة التي بدأت باعلان صفقة مقايضة القطن المصري بالاسلحة التشيكية وما تبع ذلك من توتر واصطدامات على الحدود المصرية الاسرائيلية وما لحق ذلك من حرب سيناء التي ادت الى انقسام نسبي في موقف امريكا من جهة وفرنسا وبريطانيا من جهة اخرى ؛ ومن ثم الى استقرار سياسة الحياد الايجابي كسياسة ثابتة متطورة بدأت سنة ١٩٥٩ فترة جديدة من حياتها يدعوها المؤلف باسم « مرحلة الحياد التبشيري » الذي يستقي بعض جذوره الاولى من مشاركة مصر الناشطة في مؤتمر باندونغ ومن توثق علاقاتها مع دول الحياد ، مما ادى الى تطوير سياسة الحياد الى سياسة عدم الانحياز كما جرى في مؤتمر بلغراد .

لعل هذا الكتاب ، الذي يأتي في اوانه ليلقي نورا موضوعيا علميا على كثير من المفاهيم والمعطيات السياسية الفكرية التي اصبحت شطرا جوهريا من الفكر السياسي في العالم العربي لا بل في العالم الاسيوي الافريقي عامة ، يحتاج الى ترجمة الى العربية التي تفتقر مكتبتها السياسية الى ابحاث كهذه.

مروان الجابري

الايديولوجية الانقلابية

بقلم نديم البيطار . المؤسسة الاهلية ، بيروت ، ١٩٦٤

بين الثورة والبناء هناك مرحلة لا بد من عبورها والا لكانت الثورة فوضى ولما كان سبيل الى البناء . ومن صفات هذه المرحلة انها تتركز فيها جميع الطاقات الفردية والاجتماعية وتنصهر انصهارا كليا . وهي مرحلة شاقة الى جانب انها انتقالية اي موقتة . انها بالنسبة للحياة الاجتماعية كنسبة الشك

الى الفيلسوف . فما دام الشك موقتا ، اي انه لم يتناول الاسس بل السبل المؤدية الى هذه الاسس ، يبقى منهجيا – اي انه يؤدي الى اليقين والاستقرار. واذا ما تناول الاسس تزعزعت امكانية كل معرفة ثابتة لان معول الهدم قد وصل اليها . فالثورة التي تدوم تأكل نفسها وتأكل القائمين بها ، كذلك الشك الدائم فانه يؤدي الى العدم .

لكن الثورة اقوى البراهين على وجود الانسان. وفي الفلسفة المعاصرة حل المبدأ : انا اثور اذاً انا موجود ، محل المبدأ الديكارتي القائل : انا افكر اذاً انا موجود . ففي الثورة يعي الانسان وضعه كانسان ثم يرفض هذا الوضع . ويكون من خلال رفضه اياه قد تخطاه . يسأل البير كامو : ما هو الرجل الثائر ؟ ثم يجيب : « انه من يقول : لا . لكن هذه اللا لا تعني العدم بل انها الباب الى النعم » . ومن خلال الرفض والقبول تتم اللحمة بين طرفي الانتقاض . لذلك لا يمكن للثورة ان تبقى في السلب ، «فلا» الثورة تؤدي حتما الى«نعم» البناء – هذا ان كانت الحركة الفكرية بينهاسليمة في اسسها وفي مغزاها .

الثورة اذاً حركة حيوية غايتها دفع الوجود البشري نحو تخطي ذاته ووضعه الحاضر . وهي لذلك لا بد وان تجمع فيها ابعاد الوجود الزمانية والمكانية . والتاريخ شاهد على ان الماضي يدفع الحاضر الذي لا يكتمل الا بالتوق الى المستقبل .

وكتاب الدكتور نديم البيطار ، الذي يقع في نحو الف صفحة والذي « لولا ضيق المجال » لزيد عليه ثلاثمائة صفحة جديدة،هذا الكتاب يريدمؤلفه انزاله في الثورة بين اللا والنعم ، اي انه كتاب يريد ان يضع نفسه في الانقلاب بين الرفض التام وقبول ما لا يدري . ويحدده كاتبه بانه « دراسة فلسفية اجتماعية في الانقلابات الكبرى او بالاحرى في النواحي الايديولوجية من هذه الانقلابات »(صفحة ٧) ، تلك التي تعني« في تجارب التاريخ الانقلابية الانتقال الثوري من وجود تقليدي الى وجود جديد ينقضه نقضا تاما ، يدمره ويجدده في جميع ابعاده ومن الجذور » (صفحة ٧) . كل ذلك كي يصل الى وعي المرحلة الانتقالية العربية الحاضرة في ايديولوجية تفرض نفسها على الناس والتاريخ .

وللانقلابات الكبرى في التاريخ سنة اذا ما عرفناها امكننا ان نتلمس ابعاد المستقبل . هذه الانقلابات الكبرى هي النظام الحر والماركسيا والنازية والبروتستانتية . وهنا لا بد من تسجيل مأثرة للكاتب: وهي هذا النفس الطويل في السرد، الزائغ عن قصده احيانا ، لما يعترضه من اسماء واكثار في الدخول في تفاصيل قد يظن القارىء لاول وهلة انها حشدت لغاية معينة .

نحن اذاً امام تجربة ثورية غايتها رؤية المستقبل انطلاقا من لوحة بيضاء – ما دامت الثورة على التقليد قد محت الاخضر واليابس – وقوامها عودة الى التاريخ كي نستخرج منه سنة الثورات التي تعاقبت فيه .

ان الوجود التقليدي وجود عفن وسخ يجب التخلص منه ، بل يجب الانتقام منه ، لانه عائق لعجلة التقدم . وهو هذا الوجود التقليدي الذي يتميز بالعبودية والخنوع والذل وجميع النعوت الشائنة . ولكن ما هو الوجود الجديد ، وما هي المبادىء التي يجب الاستناد اليها لتقرير جدة هذا الوجود ؟ ليس لنا في الكتاب سوى ما ورد حول « النفوس الانهزامية » التي مات كل امل في نجاتها وتحررها ، وحول « النفوس المريضة البالية » التي استعبدها الوجود التقليدي ، وحول « النفوس التي تنطوي على امكان الانتفاض والتحرر الروحي والانتقام العقائدي » (صفحة ٩٩٠) .

الا يتراءى لنا عندما نقرأ هذه الصفحات ان في فم الكاتب ماء ؟

ان الكاتب وقد آمن من جهة ، منذ اول صفحة من كتابه ، بان مرحلة ما من مراحل الوجود البشري تمحق وتمحو ما قبلها ؛ وقد آمن ، من جهة اخرى ، ان السببية في التاريخ موجودة لا سبيل الى انكارها وتجاهلها ؛ – يحاول عبثا ان يبني الوجود الجديد : لا لسبب الا لانه قطع قطعا فاصلا في كتابه بين الثورة في جذورها وبين علاقة الثورة بالبناء .

اين الكتاب اذاً من غايته ؟ غايته رسم ايديولوجية ، او تلمس نور ايديولوجية ، تنبع من المرحلة الانتقالية الحاضرة . ولكن سها عن بال المؤلف ان في الثورة ايديولوجية لولاها لما كانت

هناك ثورة ولما كان هناك ثائرون .

باسم من وما ثار المسيح ومحمد ولوثر و كارل ماركس ؟ ان الايديولوجية الانقلابية لا تنبع من فوق ، من السماء ، — انها ما تكون الثورة قد قامت باسمه ، ومـا يعطي للثورة الزخم والدفق الحيوي اللازم .

الكتاب عرض للايديولوجيات الثوريـة في التاريخ . اما الايديولوجية المطلوبة فغائبة .

ان تحرير الانسان العربي يتوقف في رأي المؤلف على كشف الايديولوجية الانقلابية وعلى تحريره من فلسفة الحياة التي عـبرت عن الوجود التقليدي . فمشكلة المؤلف اذاً ليست في كشف ايديولوجية انقلابية فحسب ، بل في معرفة غاية هذا الصراع القائم بين وجود لم تتوضح معالمه بعد ووجود قائم كامل الاسس راسخ البنيان .

لقد انتصرت الايديولوجيات الانقلابية في التاريخ لانها كانت تحمل بين طياتها حلا لمشكلة الوضع البشري في عصرها . وكانت بذلك قابلة للبقاء . لكن التاريخ لا يعيد نفسه مرتين في مظهر واحد . وسنة الانقلابات تؤدي الى الوصل ما بين الثورة والبناء ، لكنها لا تعيد الثورة نفسها ولا البناء نفسه : والا لما كانت لنا حاجة الى انقلابات متعددة وربما كفانا انقلاب واحد حتى يستقيم الوضع البشري .

بقي ان الايديولوجية التي تنتفي منها سنة الايديولوجيات هي نشاط مستحيل ، او انها نشاط لايؤدي الى نتيجة . والايديولوجية التي لا تكشف عن نفسها منذ اول الطريق لا تكون مخلصة قادرة على ان تتجـاوب والبناء الاجتماعي . وعلى الايديولوجية ان تعين هويتها ، والا لما عرفها الناس .

ولعله من التجني ان نقول ان كتابا كهذا لم يغن المكتبة العربية . لقد حـاول فيه مؤلفه ان يخطو الخطوة الاولى في كشف نواحي الايديولوجية الانقلابية . وقيمة هذه المحاولة انها باب الى افق اوسع ومادة اغزر ، لا في عرض نظريات فلاسفة التاريخ بل في تعميق هذه النظريات وابقاء ما فيها من امور حسنة للايديولوجية الجديـدة . وان كانت هذه الايديولوجية قوية ثابتة مركوزة ، قدرت على البقاء .

جوزيف ابو جودة

الوثائق العربية ١٩٦٣

دائرة الدراسات السياسية ، الجامعة الامريكية ، بيروت ، ١٩٦٤

اصدرت دائرة العلوم السياسية والادارة العامة في جامعة بيروت الامريكية هذا المجلد الضخم المحتوي سجلا للوثائق العربية لعام ١٩٦٣ . وقد اوضحت في تقديمها لهذه المجموعة من الوثائق انها تعتبرها متممة « للوقائع العربية » التي تصدر عنها في اربعة اجزاء سنوياً .

والواقع ان اصـدار مجموعـة سنوية من الوثائق يواجه عدداً من الاسئلة المهمة، وهي : نطاق البلاد التي تتناولها الوثائق ، ونطـاق البلاد التي نشرت فيها الوثائق في الاصل ، والاختيار فيما بين الوثائق نفسها، والتحقق من صحتها قبل نشرها، وترجمـة هذه الوثائق من لغة الى اخرى اذا كانت منشورة بغير لغتها الاصلية .

اما فيما خص هذه المجموعـة بالذات ، فقـد اثار ناشروها عددا من هذه القضـايا في التقديم القصير الذي رافقها ، فذكروا انها تقتصر على دول الشرق العربي وعلى المصادر العربية دون غيرها ، « رغبة في الا يكون اتساع نطـاق المجموعة على حساب غزارة مادتها » . كذلك بينوا انه « لم يقصد لهذه المجموعة ان تشمل كافة الوثائق الهامة حتى للدول المقتصر عليها ، فقد اخرجت عمدا من نطاقها ، مثلا ، التشريعـات والمراسيم والقوانين الادارية والفنيـة البحتة ، وكذلك اخرجت المعاهدات الثنائيـة والمتعددة الاطراف بين الدول